من البحوث التي قدمت في مؤتمر التعريب الثاني بالجزائر

امكانات العربية

(جوانب الدقة والغموض في المصطلح العلمي العربي الجديد)

الاستاذ خير الدين حقي المهندس
في كلية الهندسة بجامعة حلب (سورية)

« ان عبقرية اللغة العربية متاتية من توالدها ، فكل كلمة فيها تلد بطونا ، والمولودة بدورها تلد بطونا اخرى ، فحياتها منبثقة من داخلها . وهذا التوالد يجري بحسب قوانين وصيغ واوزان قوالب هي غاية في السهولة والعذوبة » .

1 ــ المصطلح العلمي :

ان المصطلح العلمي كلمة كغيرها من الكلمات اللغوية تشير الى شيء حسي او معنوي ، لابد من ايضاح مفهومه اول مرة ، حتى لابن اللغة نفسه ، كما لو كان يتعلم لغة جديدة ، لكي يدرك ذاك المفهوم، وبعدئذ يثير اللفظ في ذهن السامع صورة الشيء الذهنية ومفهومه لا الشيء نفسه . ويتم الانتقال الى الاشياء الحسية عن طريق هذه الصورة الذهنية ايا كان اللفظ الذي اطلق عليها . اقول ايا كان اللفظ فكلمة « شمس » توحي الينا صورة الكوكب المعروف، وكلمة « دار » توحي الينا صورة المسكن الذي ناوي اليه ، وقد كان بالامكان ان نسميهما باسماء اخرى. وهكذا الحال في كل مصطلح علمي اذا ما اعطى للكلمة الشرح الكافي الدقيق فيما تدل عليه ، علي ان يلتزم اللفظ باصول اللغة ، وهو القيد الوحيد او مجموعة القيود التي يجب التمسك بها ليأتي اللفظ دقيقا لا غموض فيه .

واية كلمة ــ مهما كانت ــ هي كلمة علمية فان لم تدخل تحت هذا العلم دخلت حتما تحت علم آخر . فالبحث عن المصطلحات العلمية معناه في الحقيقة بحث اللغة وامكاناتها في التعبيرات الحضارية .

والمشتغلون بوضع المصطلحات العلمية هم اساتذة الجامعات بالدرجة الاولى ، ثم المجامع اللغوية ، وبعض الافراد ، واجهزة الاعلام والصحافة، ولا رابطة بينهم ، لذلك بدأ الاضطراب في المصطلحات العلمية ، ولا سيما ان اقطارنا العربية المتعددة لا تخضع لسلطة لغوية واحدة تفرض الكلمة او القاعدة لتصبح عامة للجميع . ولهذا تعددت المصطلحات للدلالة على شيء واحد بين قطر وآخر ، او بين جامعة واخرى في القطر الواحد ، مما افقد بلادنا وحدة التفكير العلمي . على ان الامل معقود على مكتب تنسيق التعريب للخروج من هذه البلبلة .

2 ــ اساليب اللغة العربية :

ان التفاهم في اللغة العربية لا يجري باللفظ المجرد ، فحسب ، بل يكون ايضا بالاعراب والتصريف.

فالحركات من جهة ، والاوزان او القوالب التي تصاغ فيها الكلمات من المصدر الاصلي من جهة اخرى ، هي القواعد او القيود التي يجب التزامها والتمسك بها لنبتعد عن الغموض . وان حسن اختيار المصدر الاساسي للكلمة او الفعل الذي يجري الاشتقاق منه يفصح عن المعنى ويزيد الدقة في المصطلح المراد ايجاده .

سبيلنا في وضع مصطلح جديد هو الاشتقاق ، وهو الاصل والمعين الذي لا ينضب ، ثم النحت . وهذا الاخير ــ وان زاد استخدامه في عصرنا ــ لا يتعدى ترجمة المصطلحات المنحوتة في اللغات الاجنبية المترجم عنها .

ومنعم النظر في الصيغ العربية يدرك انها لم توضع بالشكل الذي هي فيه باطلا :

ــ فالحروف التي تكون الكلمة ،

— والحركات على الحروف في الصيغة ،
— والصيغة نفسها
لكل منها وظيفة مقصودة ، فلم تات اعتباطا .

فقد بدا البحث في خصائص الحروف منذ القرن الهجري الثاني واستمر الى يومنا هذا . فبحثهـا قديما الخليل بن احمد وسيبويه وابو علي الفارسي وبخاصة ابن جني الذي كان اوسعهم بحثا وادقهم ملاحظة ، فاورد لكل حرف من الحروف امثلة كثيرة على المعنى الثابت لكل حرف او لاجتماع الحروف في الكلمة ، حتى اوحت هذه الظاهرة الى بعض الباحثين في العصر الحديث بنظرة « القيمة» التعبيرية اوالبيانية للحرف في الالفاظ العربية» . وما زال باب البحث مفتوحا في هذا المجال الذي لم تدرك بعد كل نواحيه، ولكن منزلته تاتي في المرتبة الثانية في بحثي هذا . لذلك فانني ساحاول ، فيما ياتي طرح ما هو اهم واعني خصائص بعض الحركات ، وكذلك ساختار من بحث الاوزان اسماء الآلة وبعض الاوزان الاخرى كما تتراءى لي ، وكما استعملها في الترجمات المصطلحات العلمية ملتزما منطق اللغة كما ارادها واضعوها الاوائل ، على ظني .

ا) الحركات :

ان العرب ما ليس لغيرهم في هذا الباب ، فبالاضافة الى ما للحركات في الاعراب من شان ، هي ايضا وسيلة يفرقون بها بين المعاني ، فيقولون مفتح للآلة التي يفتح بها ، ومفتح لموضوع الفتح . ومقص لآلة القص ، ومقص للموضع الذي يكون فيه القص .

وكذلك فان الفعل الثلاثي هو الغالب في اللغة العربية ، وهو ستة ابواب كما هو معلوم ، وهذه الابواب سماعية مع الاسف . ولكن الا يوجد في تنوع هذه الابواب الستة منطق ما ؟ يخيل الى انها لم توضع عبثا .

فلو اخذنا الباب الخامس مثلا « فعل ، يفعل » الذي يمتاز بالضمة في الماضي والمضارع ، نرى جميع الافعال التي على هذا الوزن بلا استثناء واحد منها هي افعال لازمة . ان هذا الشمول يبعث على العجب ويلفت النظر الى وظيفة الضمة المكررة في الماضي والمضارع كانما تشير الى اكتفاء الفاعل بذاته .

وفي اللغة العربية افعال لازمة ايضا على وزن فعل (بالفتح) وفعل (بالكسر) . ولكن في كثير منها قول آخر يعيدها الى وزن « فعل» اللازم ، اي يعيدها الى القاعدة الاصلية .

فنجد مثلا : سخن وسخن ، وصلح وصلح ، وشحب وشحب ، وخثر وخثر ، ورعف ورعف ، وغيرها .

كما نجد ايضا : سفه وسفه ، وسخي وسخو، وعجف وعجف ، وحمق وحمق ، وغيرها .

. ومما يزيد اعتقادي بصحة وظيفة الضمة للاكتفاء استخدامها ايضا في الافعال المبنية للمجهول والتي هي في مضمون معناها كالافعال اللازمة ، اذ تصاغ هذه بالضمة في اول الفعل الماضي والمضارع مثل « كسر الغصن ويكسر الغصن» وهي على وزن واحد هو « فعل يفعل» لجميع ابواب الفعل الستة . فهذا الشمول ايضا يبعث على الدهشة في منطق اللغة العربية في ايجاد صيغ عامة كانها نواميس طبيعية او دساتير رياضية .

وعند حذف الفاعل في الافعال المبنية للمجهول تدخل الضمة على المفعول به لترفعه الى مرتبة الفاعل دليل الاكتفاء الذاتي بعد حذف الفاعل .

والمبتدا والخبر مرفوعان بعد حذف الفعل من الجملة ، او بالاحرى بعد اكتفاء الجملة بالاسمين دون فعل يربط بينهما .

فكانما الضمة في ذهن العربي الاول حركة تشير الى ان في الكلام اكتفاء واختصار شيء ما .

وقد يكون من المفيد دراسة اسباب رفع الفاعل واسم كان وخبر ان واخواتهما ، فهل يكون السبب هو حصر الاهتمام في المقصود اكثر من سواه ؟

ولعل من المفيد ايضا كشف ما تعنيه الفتحة والكسرة والسكون في ذهن العربي الاول ، فقد يعيننا هذا في الافصاح عن خبايا تسهل لنا سبل الاشتقاق.

وعلى كل حال ، مهما كانت الاسباب او النتائج ، فان ما يدهش حقا هو ميل العرب الاوائل الى ضبط لغتهم في مجار موحدة وقواعد شاملة بمنطق حضاري سليم .

ب) الاوزان :

ان ما احصى من افعال مستعملة وكلمات مجردة لا يزيد على خمسة آلاف كلمة الا قليلا ، وهذا كل ما في اللغة العربية من اصول او مواد يمكن الاشتقاق منها .

فاللغة العربية تبدو اذن فقيرة جدا في مصدرها، فمن اين اتت عظمتها التي يعترف لها بها الجميع ؟

ان عبقرية اللغة العربية متأتية من توالدها ، فكل كلمة فيها تلد بطونا ، والمولودة بدورها تلد بطونا اخرى ، فحياتها منبثقة من داخلها . وهذا التوالد يجري بحسب قوانين وصيغ واوزان قوالب هي غاية في السهولة والعذوبة .

فباضافة حرف اكثر من الحروف المجموعة بكلمة « سألتمونيها » على الفعل او الاسم تستنبط الاوزان » وقد عد سيبويه منها اكثر من ثلاثمائة واحصى منها ابن القطاع بعده ما ينيف على الف ومائتين .

وليس في هذا الرقم مبالغة ، لان حسابا يسيرا يظهر بسهولة انه باضافة حرف او حرفين او ثلاثة او اربعة من هذه الحروف العشرة الى اصل ثلاثي ما ، في جميع التراكيب الممكنة ، يمكن ان يستنبط حوالي عشرة آلاف تركيب مختلف . ولكن ما يستعمل منها لا يؤلف الا نسبة ضئيلة جدا ، حتى لو كانت الف وزن ، فانها لا تؤلف الا العشر .

ولو فرضنا ان مائة وزن مستعملة وسطيا فان مفردات اللغة العربية تبلغ نصف مليون كلمة ، وهو رقم يضع اللغة العربية في مصاف اغنى اللغات .

فالفعل يدل على المعنى العام ، اما الوزن فانه يدل على وظيفة الكلمة .

فوزن « فاعل » مثل كاتب يدل على من قام بالفعل . ووزن «مفعول» مثل مكتوب يدل على من وقع عليه الفعل ، وهكذا في بقية الاوزان .

وعلى الرغم مما كشفه لنا الباحثون وملأوا به الكتب من عجائب هذه الاوزان فانه ما زالت فيها زيادة لمستزيد .

واني اجد هنا مجالا لان اقتبس من محاضرة كنت القيتها عن اسم الآلة لكشف بعض خصائص اسمائها التي لم يشر اليها احد .

تقول كتب الصرف ان لاسم الآلة ثلاثة اوزان هي :

— مفعل كمبرد
— ومفعال كمصباح
— ومفعلة كمكنسة

وتقول : ان كل هذه الاوزان لا يقاس عليها ، ولكن الغالب في معتل اللازم وزن مفعلة نحو : مطواة ومشواة ومصفاة .

ويبنى اسم الآلة المشتق من الثلاثي المتعدى عليها . وقد يكون من غير الثلاثي كمئزر من (ائتزر) ، او من الثلاثي اللازم كالمرقاة من (رقي) ، او من الاسم الجامد كالمحبرة من (الحبر) .

واني اسأل : لماذا لا يقاس على هذه الاوزان ونحن في أوج معركة التعريب ؟ أليس لها ضوابط ؟.

لقد حللت في محاضرتي السابقة خصائص كل وزن من اوزان الثلاثة فوجدت ان جميع اجهزة القياس التي كانت معروفة تنحصر في وزن مفعال مثل : ميزان، مكيال ، مثقال ، معيار ، ميقات ، مسبار الخ .

لذلك يجدر بنا ان نخصص هذا الوزن للجهاز الذي ينفع للقياس ، والمرادف في اللغة الفرنسية لكلمة — mètre — او ما معناها فنقول مثلا :

— مطياف لقياس الطيف Spectromètre
— ممطار لقياس المطر Pluviomètre
— مرياح لقياس الريح Anémomètre
— منواء لقياس النوء Baromètre
— مضغاط لقياس الضغط Manomètre
(لا مضغط الذي ورد في المنجد) .
— محرار لقياس درجة الحرارة Thermomètre
— مسعار لقياس كمية الحرارة Calorimètre
— مسراع لقياس السرعة Vélocimètre
— مدوار لقياس عدد الدورات Tachymètre
— مرداد لقياس التردد Fréquenomètre
— مكسار لقياس انكسار النور Refractomètre
— مجهاد لقياس الجهد Dynamomètre

وغيرها فنخصص هذا الوزن لاجهزة القياس كافة ونحصرها به ونترك الكلمات القديمة التي على هذا الوزن دون ان نتعرض لها حتى لو لم تعن وظيفة للقياس مثل مفتاح ومنشار وسواها . اما الكلمات الحديثة الوضع كترجمة Tire-Ligne بمسطار — و Manomètre بمضغط كما وردتا في (المنجد) فحبذا لو وردت الاولى (مسطارا) على وزن (مفعل) والثانية (مضغاطا) على وزن مفعال ، جريا على الملاحظة التي اوضحناها سابقا .

من هذا نرى انه بمجرد تعرفنا القصد من وضع صيغة « مفعال » يتيسر لنا ايجاد مسميات كثيرة دون تردد او التباس ، وقد ترك لنا الباب مفتوحا لادخال مسميات جديدة قد لا تكون في وقتنا الحاضر ، لكن المكان مهيأ لها سلفا منذ الآن لتحتله في المستقبل .

واذا استعرضنا اسماء الآلة التي على وزن

« مفعل » مثل مبرد ومسرد ومثقب ومنقش ومحفر ومشرط ومبضع ومنزع ومحجم وغيرها نجد انهاادوات تقوم بعمل مباشر ، فنتركها لمثل هذه الوظيفة .

وهذا ما يوضح لنا ما اشرنا اليه سابقا من ان تسمية Tire-Ligne بمسطار تخالف فكرة الوزن الصحيح ، لان هذه الاداة تقوم بعمل مباشر وكان يجب ان تسمى بمسطر . ومثل هذا نسمي مخرطا ومكسحا ومفرزا ومصقلا ، وغير ذلك مماتجده في الاجهزة الحديثة .

اما اذا استعرضنا الاوزان التي على وزن « مفعلة » مثل محبرة ومغسلة ومكنسة ومبخرة وملعقة ومطرقة ومسطرة وغيرها فنجد ان ما يشتق على هذا الوزن هو آلة تقوم بعمل غير مباشر فهي بالاحرى وسيلة . فالمحبرة وسيلة لحفظ الحبر وليست هي التي تصنع الحبر ، والمغسلة وسيلة الغسل وهكذا .

بهذا نرى ان: مصفاة ومشواة ومطواة قد خضعت للقاعدة وعبرت عن وظيفتها لا لانها معتلة العين فقط.

فالوزن ، كما يتراءى لنا ، هو العامل المسيطر في التعبير عن الوظيفة قبل الاخذ باية اعتبارات اخرى.

ولدينا وزن آخر جدير بالعناية وقلما ينكر في اسم الآلة ، وانما ينكر للالوان مثل دهان وصباغ ، او للباس مثل غطاء ودثار وحجاب ، وهو وزن « فعال » الذي ياتي على وزنه للآلة اسماء كثيرة مثل: حزام ولجام وزمام وخطام وخزام وقراب وسوار وزناد وسنان وغيرها . وهذه الادوات تقوم بعمل مباشر ايضا كالادوات التي على وزن « مفعل» ولكن هنالك مع ذلك فارقا بين المجموعتين . فما كان على وزن مفعل لا يزول منه اثر الآلة بعد زوالها . فالمبرد يبقى اثره بعد البرد ، وكذلك المبضع والمنقر وغيرهما. على ان زوال الآلة التي على وزن فعال لا يبقى اثرا يدل على وجودها .

وفي لغتنا اوزان اخرى حملها المحدثون معنى اسم الآلة فادته بكل يسر و سهولة مثل :

فاعل وفاعلة	نحو نابض وباخرة
وفعال وفعالة (1)	نحو جرار وطيارة
ومفعل ومفعلة	نحو محرض ومنوبة

وغيرها من الاوزان التي علينا الا نستعملها اعتباطا دون ان نحدد وظائفها وخصائصها حتى لانقع في الغموض والخروج على منطق اللغة العربية الذي تمتاز به من سائر اللغات بضوابطها الدقيقة .

ج) المفـــردات :

لعلي بما قدمت عن الحركات ، كما تبدو لي ، بالاضافة الى ما اقتبسته من محاضرتي السابقة عن اسم الآلة قد توصلت الى ابراز ناحيتين جديرتين باهتمامنا في خصائص اللغة العربية هما :

— تاثير الحركات
— والاوزان ودقتها

فهما السلاحان الماضيان في ايدينا لوضع المصطلحات الحديثة ، يضاف اليهما ما تركه اسلافنا من مفردات غنية يمكن ان تكون لنا عونا في الانتقاء للكلمة التي هي اصلح وادق من بين مجموعات الكلمات التي تتصل بمعنى واحد ، وذلك سواء اكان المقصود لشيء مادي ام لتعبير حسي ام لشعور نفسي مما تتطلبه العلوم العصرية من دقة وانضباط .

وفي تراثنا ذخر من هذه المفردات مبوبة مدلات مجلدات مثل فقه اللغة للثعالبي وكتاب الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها لاحمد بن فارس وادب الكاتب لابن قتيبة وغيرها .

ولابد لي من ان اقتطف نموذجات ثلاثة من مئات غيرها ، الواحد لشيء مادي ، والثاني لشيء حسي، والثالث لشيء عاطفي .

فكمثال لشيء مادي ساورد ترتيب ما ارتفع من الارض من الجبيل الصغير الى الجبل الطويل العظيم :

فاصغر ما ارتفع من الارض هو النبكة ، ثم الرابية اعلى منها ، ثم الاكمة ، ثم الزبية ، ثم النجوة، ثم الربع ، ثم القف ، ثم الهضبة (وهي الجبل المنبسط على الارض) ، ثم القرن (وهو الجبل الصغير) ، ثم الدك (وهو الجبل الذليل) ، ثم الضلع (وهو الجبل ليس بالطويل) ، ثم النيق (وهو الطويل) ، ثم الطود، ثم الباذخ والشامخ ، ثم الشاهق ، ثم المشمخر ، ثم الاهود والاخشب ، ثم الايهم ، ثم القهب (وهو العظيم مع الطول) ، ثم الخشام .

والجبل بين حضيضه وقمته تفاصيل دقيقة ، وكذلك نرى لانواع الارضين والوهاد والتراب والطين

1) اجاز المجمع اللغوي وزن فعالة لاسم الآلة كعصارة وطيارة .

والطرق والحفر وغيرها ما يميز بعضها من بعض في تغيراتها تقلباتها .

اما لما يقع تحت الحواس فاني اضرب مثلا عن تغير طعم الماء .

— فالماء الشريب هو الماء الذي ليس فيه عذوبة وقد يشربه الناس على ما فيه .

— الماء الشروب هو دون الشريب في العذوبة ولا يشربه الناس الا عند الضرورة .

— والماء الهجهج لا عذب ولا ملح .

— والماء الزعاق ماء مر لا يطاق شربه .

— والماء الآجن الماء المتغير الطعم واللون غير انه شروب .

— والماء الجوى منتن فوق الآجن .

— والماء الملح خلاف العذب (ولا يقال مالح)

— والماء الاجاج ملح مر

— والماء القماع اشتدت مرارته (تحترق منه اجواف الابل)

— والماء الآسن لا يشربه احد من نتنه

وهكذا الماء السماء والماء العذب والماء البارد والماء الساخن والماء الضافي والماء الكدر وجري الماء وتفجره وانبثاقه ورشحه وصوته نجد لكل هذه الحالات ولحالات كثيرة غيرها مسميات بحسب التغيرات والصفات التي يحملها الماء .

وكمثال على ما يخالج النفس اضرب مثلا عن الحب وتفصيله :

فاول مراتب الحب الهوى ، ثم العلاقة ، وهي الحب اللازم للقلب . ثم الكلف ، وهو شدة الحب . ثم العشق ، وهو اسم لما فضل عن المقدار الذي اسمه الحب . ثم الشعف ، وهو احراق الحب القلب مع لذة يجدها ، وكذلك اللوعة واللاعج فان تلك هي حرقة الهوى وهذا هو الهوى المحرق . ثم الشغف ، وهو ان يبلغ الحب شغاف القلب وهي جلدة دونه . ثم الجوى وهو الهوى الباطن .

ثم التيم وهو ان يستعبده الحب . ثم التبل وهو ان يسقمه الهوى . ثم التدليه ، وهو ذهاب العقل من الهوى . ثم الهيوم وهو ان يذهب على وجهه لغلبة الهوى عليه .

ومثله للغضب والحزن والفرح والبكاء وغيرها.

وهنا يحضرني ما قاله الكاتب المرهف فولتير « ان اللغة ، اية لغة ، تعجز عن التعبير الكامل عن آرائنا ومشاعرنا ، فالفروق كثيرة لا تكاد تلمس ، فتضطرنا اللغة مثلا ان نعبر بلفظ الحب او البغض عن آلاف من ضروب الحب او البغض كلها مختلفة ، وكذلك الحال في موضوع آلامنا وملاذنا » .

فهل ينطبق هذا القول على اللغة العربية ؟ وهل تكون هذه السعة والدقة في المعاني وصمة في لغتنا كما يريد بعضهم ان يتهمها بها ؟

ان في بطون المعجمات والكتب العربية الكثير من الكلمات التي يمكن ان تجد لها مدلولا حضاريا ، اما بانطباق المعنى على المعنى المراد ترجمته انطباقا دقيقا ، او بالاستعارة او بالتشبيه ، فلن تعجز العربية بما فيها من غنى من جهة ، وبحسب طرق الاستنباط المتطنى للكلمات من جهة ثانية ، عن استيعاب الحضارة مهما اتسعت .

3 — المصطلحات القديمة والمصطلحات الحديثة :

اذا قلت ان « اللغة العربية تستطيع استيعاب الحضارة مهما اتسعت » فلا اعني مطلقا انه لابد ان نجد كلمات تغطي حاجات العصر وهي الآن في بطون كتبنا ويكفي التفتيش عنها حتى نجدها . لا ، اننا لسنا اصلا في هذا العصر بحاجة الى ان نستخدم مثل هذه الطائفة من الكلمات للتعبير عما ارتفع من الارض او عن تغير الماء . فالمدنية الحديثة اصبحت لا تبنى مقاييسها على الاحساس فقط ، اذ قد يكون الماء الذي اراه انا آجنا يراه غيري شروبا . ان الدقة العلمية تستند اليوم الى القياسات ، واذا كان معروفا منها قبلا الاطوال والمساحات والحجوم والاوزان والمكاييل والزمن واشياء اخرى فلم تكن هذه ايضا تقدر بوحدات محددة . فالذراع الهاشمية غير الذراع التجارية وهما غير ذراع البناء . والقصبة في مكان تختلف عنها في مكان آخر وهكذا الفرسخ والرطل والاوقية والدرهم والاردب وغيرها مما يفقد الدقة تماما .

اما اليوم فان المتر والغرام والثانية والليتر وغيرها واجزاءها واضعافها هي وحدات عالمية لها مدلولات ثابتة . وعليه فان تقدير الجبال مثلا يجري بتحديد اطوالها وعروضها وارتفاعاتها مقدرة بالوحدات الاساسية مما اغنانا عن كلمات كثيرة للتمييز كانت ضرورية في تلك العصور .

والتطور الحضاري اوجب الاتفاق على وحدات ثابتة لقياس كل مكتشف حتى ما كان يظن انه لا يمكن قياسه كالسمع ومقدار حساسية الاذن ، والانغام بالاهتزازات الصوتية . والرؤية بالعدسات وتاثرها

بالاضاءة • والنور بالطيف واهتزازات موجاته وشدته وضعفه • ولابد ان للشم والذوق والاحساس وحدات قياسية ايضا • واكتشاف الكهرباء والمغناطيس واستخدامهما وغيرهما من الطاقاتكالحرارة والجاذبية الارضية والطاقة الشمسية او النووية كل اولئك قد خلقت وحدات للقياسات تعين جهدها وشدتها ومفعولها ودرجتها وكميتها بوحدات معرفة بتعاريف لا ياتيها الخلل ، مما يجعل المصطلح العلمي بحسب هذه الوحدات مفهوما بقدر دقة هذه الوحدات •

فالماء المتغير وغيره مثلا ليس بحاجة الى ان نطلق عليه مجموعة من الاسماء تتعب الذهن ويستحيل حتى على الضليعين باللغة استظهارها ، وانما يقدر تغيره بمقدار ما يحويه من املاح او اجسام عضوية او جراثيم بحسب ما تظهره الفحوص المخبرية المستندة الى قواعد علمية وقياسات نوعية •

واذا كانت القياسات والتعبير بالوحدات الاساسية يعقد المسمى اولا ياتي بالوضوح فان اسلوب التسمية يتغير بما يجعله اكثر وضوحا • فاسماء المركبات الكيماوية مثلا ، وبخاصة مركبات الكيمياء العضوية تعطي نموذجا ممتازا لهذا النمط من التسمية •

فمن المعروف ان ما اكتشف من مركبات الفحمانيات Hydrocarbure قد بلغ مئات الالاف مما تعجز اغنى اللغات واوسع الادمغة عن ان تجد لكل منها اسما خاصا • الا انه بحسب تركيب ذرات الفحم في المادة وتفرعاتها وبحسب الوظائف الكيماوية للجسم من حمض او ملح او كحول او اميد او امين او سواها امكن ببضع عشرات من الكلمات تغطية كل هذا العدد الضخم من الاجسام وايجاد مسميات جديدة لها بطريقة تصلح في المستقبل لتسمية اجسام لم تكتشف بعد ، وذلك بحسب قواعد تنبىء عن تركيب الجسم ووظائفه في آن واحد • وان كان يعاب على هذه الطريقة ان قوام الاسم كلمات ، تؤلف احيانا جملة طويلة ، لا احرف تختصر الاسم ، فان هذا النقد لا يكون عيبا ينقص من قيمة هذه الطريقة التي حلت المشكلة على وجه ممتاز •

فاوجه التسمية والدقة في التعابير قد اختلفت اذن بين الماضي والحاضر اختلافا كليا ، ويبدو ان اللغة العربية سوف تفقد امتيازها بوفرة مفرداتها وسوف تتقلص لتنحصر في نطاق الكلمات الاصلية وتصبح لغة محدودة • وبالتالي فانها ستمنى بخسارة جسيمة ، ولكن ليس في جميع الميادين بل لا بد ان يبقى قسم كبير من هذه المفردات قائما في مسميات كثيرة ليدل على غنى اللغة وسعتها • فاذا كان العلم قد حدد للاشياء المادية قياساتها ، واخضع الحواس ايضا الى مقاييس ، فانه حتى الآن لم يخضع العواطف والهواجس النفسية لمثل هذه القياسات ، وستبقى اللغة العربية في الطليعة في هذا المضمار ، الى ان ياتي اليوم الذي تخضع فيه هذه ايضا للقياسات المخبرية • فقد تكتشف موازين للحب والبغض والصداقة والفرح والنخوة والمروءة •• الخ ، وعندها قد يسأل المرء عما سيبقى لنا من مزايا لغتنا ؟ ولعل طرح هذا السؤال الآن ليس سابقا لاوانه ؟

4 — العربية لغة الضوابط :

نعم ، ان السؤال لابد ان يطرح الآن وفي يقيني انه ليس سابقا لاوانه • فهل يكفي ان نترصد ظهور الكلمات العلمية وان نجد لها ما يعطي معناها ؟ ان ايجاد كلمة مهما كانت موفقة لا تغني اللغة الا بهذه الكلمة فقط ، لكن ايجاد قاعدة تنطبق على مجموعة من الكلمات ، كلما امكن ذلك ، معناه ادخال عدد وافر من المصطلحات في اللغة واغناؤها بها دفعة واحدة •

فللاوزان في لغتنا سر عظيم وهي وسيلة بارعة في توسيع اللغة وامتدادها في جميع الاتجاهات ، على ان نسمح بتعميمها والقياس عليها فلا نقف عند حدود الكلمات التي اوردها اسلافنا فحسب •

ولقد لمسنا في تعميم اسماء الآلة مبلغ جدوى هذا التعميم في ناحيتين :

— ايجاد مسميات لآلات القياس مثلا بكل سهولة • بعد ان تحدد معنى وزن مفعال •

— امكان تطبيق هذا الوزن على ما قد يكتشف، اي التوسع والامتداد في اللغة •

ان خدمة اللغة الحقيقية هي في سلوك هذا السبيل وتعبيده ما امكن ليسهل سلوكه للجميع • واننا اذا فقدنا عددا من المفردات فسنعوض بهذه الطريقة اضعافه وبمدلولات ادق ، ولن يضيرنا ايضا ان نفقد عددا من الكلمات لتادية معنى واحد مثل ما في :

« غلب الرجل وغلب عليه (يغلب) غلبا وغلبا وغلبة ومغلبا ومغلبة وغلبى وغلبى وغلبة وغلابية » ان كل هذا قد فات اوانه ولم يبق له ذلك السحر القديم •

فالاوزان فى اللغة العربية قد غطت اغراضا مختلفة مثلما تغطى اوتار الآلة الموسيقية مدروجات الانغام ... Harmonies والمهارة فى استعمال هذه الاوزان لتشبع حاجات العصر مثلما يشبع العازف اللحن بهذه الاوتار مهما ابتكر من الالحان .

فنقل الفعل المجرد مثلا الى اوزان المزيد قد غطى اغراضا كثيرة ومختلفة كالتعدية والتكثير والسلب والمشاركة والصيرورة والمطاوعة والتكلف والطلب والانتساب والتدرج والمبالغة والتحول وغيرها . فلماذا تبقى سماعية ولا تعمم ؟

والمشتقات من لفظ الفعل ، والاوزان الاخرى العجيبة المدلولات فى دقة معناها واختصار مبناها ، لماذا تبقى محدودة المعطاء ؟ وقد نفتش احيانا عن جملة لترجمة مصطلح مع أن وزنا مجهولا كان يمكن أن يؤدي المعنى بدقة .

ان المصدر يحدد معنى الفعل والوزن يحدد الوظيفة كما قلنا . فلو غاب عنا معنى الفعل لا تغيب عنا الوظيفة المقصودة بمجرد سماع الوزن وهذا يؤلف نصف الفهم على الاقل . فلو قلنا ((كظيم)) نفهم ان احدا او شيئا اتصف بالكظم ولو لم نفهم معنى ((الكظم))، كما نفهم بسهولة من كريم وفهيم من اتصف بالكرم والفهم . وكذلك من : اكرم وافهم من تجاوز فى كرمه الكريم وفى فهمه الفهيم .

وان كلمة شروب معناها الماء القابل للشرب والمرادفة لكلمة ... Potable الفرنسية . وكثيرة هى الكلمات الفرنسية المنتهية بالزائدة able أو الزائدة ible فوزن ((فعول)) يمكن ان يقوم مقام هذه الزائدة فنقول :

— شروب (قابل للشرب)	Potable
— صدوء (قابل لان يصدأ)	Oxidable
— بدول (قابل للتبدل)	Variable
— صمود (قابل للصمود او قادر عليه)	Tenable
— قلوب (قابل للانقلاب)	Reversible
— عكوس (قابل او قادر على عكس النور)	Reflectible
— مدود (قابل للتمدد)	Extensible
— طفوء (قابل للانطفاء)	Extinguible

ويمكن ان نطلق الوزن نفسه على ما يفيد المعنى السالف الذكر مثل شفوف الجسم الذي يمكنه ان يشف قليلا Translucide وقد ترجمه كثيرون ((بنصف شفاف)) مع أن وزن فعول يغطي المعنى بيسر .

ولابد ان نشير الى أن وزن فعول يفيد المبالغة ايضا كودود وصفوح . ولكن لما كان للمبالغة اوزان كثيرة فقد يكون من المفيد استثناء هذا الوزن منها للمصطلحات العلمية الحديثة وقصره على المعنى السابق .

واذ نقول ((آلة قلوبة)) (1) كالدينامو ... Dynoma مثلا فان ذلك يفيد ان هذه الآلة تقوم بعملين متعاكسين . فان ادرناها انتجت تيارا كهربائيا ، وان غذيناها بتيار كهربائي دارت . وكذلك العنفة Turbine ، التى ان غذيناها بتيار مائى دارت ، وان ادرناها دفعت الماء كالمضخة النابذة . وهكذا فى الكلمات الاخرى التى لها مدلولات يؤديها الوزن ((فعول)) بكل دقة .

وفى الكهرباء حوادث كهربائية مختلفة لكنها مشتركة فى صدها للتيار كالمقاومة الكهربائية Résistance فصيغت فى اللغة الفرنسية باسماء استعيرت لها الزائدة ance الظاهرة فى آخر كلمة Résistance على ان وزن ((مفاعلة)) يفنى لاداء المطلوب فنقول :

— مقاومة	résistance
— ممانعة	Impédance
— محارضة (من التحريض الكهربائى)	Inductance
— مواسعة (من السعة الكهربائية)	Capacitance
— معارضة (مغناطيسية)	Perditance
— مضايعة (من الضياع)	Admitance
— مسايرة	

كما نستعمل المصدر الصناعى باضافة اليساء المشددة والهاء فى نهاية بعض اوزان الاسماء المشتقة للدلالة على ما يتميز به الاسم كما او كيفا ، فنقول :

انتاجية	Productivité
قلوبية	Reversibilité
مقاومية	Résistivité

فالمقاومية مثلا غير المقاومة ، اذ نقول ((ان

---

(1) وزن (فعول) بمعنى فاعل يأتى بصيغة واحدة للمذكر والمؤنث نحو : ولد ضحوك ، وبنت ضحوك لكننا نفضل تجاوز هذا الشذوذ وتطبيق قواعد التذكير والتأنيث المألوفة فى استعمال هذا الوزن لهذه الغاية .

مقاومية النحاس هى اقل من مقاومية الحديد) • على ان مقاومة سلك معين من النحاس قد تفوق اضعاف مقاومة سلك معين من الحديد ، مثلما نقول ان القطن اخف من الحديد (ونعنى بذلك الكثافة) على انه قد يكون وزن كتلة معينة من القطن يفوق وزن كتلة معينة من الحديد اضعافا •

وقد كان يمكن ان نستعمل الياء غير المشددة مع الهاء كوزن فعالية نحو رباعية وكراهية ورفاعية وطواعية وطماعية وشآمية ويمانية وهو وزن مألوف، الا ان النطق به قد يصعب لبعض الكلمات كما فى « مقاومة» التى يعسر نطقها على مثل هذه الصيغة•

وزيادة الياء المشددة والهاء قد درج استعمالها فى كلمات عصرية كثيرة مثل « استراتيجية وامبريالية واقطاعية» للدلالة على النوع ، او الوحدة او الجمع مثل (اعمال خيرية) ونسب اخرى غيرها ولكنها عند استعمالنا اياها تدل على ما اشرنا اليه سابقا •

ونعتقد انه لا ضرورة لتعداد الامثلة على فوائد الاوزان اكثر مما اتينا على ذكرها لنؤكد ان الاوزان هى مزية اللغة العربية الكبرى التى بفضلها ستتبوأ مكانها رغم ما ستضيعه من مزايا اخرى •

ولاضرب مثلا شاملا لكل ما جاء مستخدما فعل صبغ :

- صبغ اصل الفعل
- الصباغة الحرفة
- الصباغ محترف الصباغة
- المصبغ الجهاز فى الآلة (ان وجد) والذي يحمل الصباغ ويقوم بطبع اللون على النسيج (يقوم بعمل مباشر) •
- المصباغ الجهاز الذي تقاس به دقة الصباغة
- المصبغة آلة الصباغة — Machine
- المصبغة مكان الصبغ
- الصبوغ النسيج الذي يقبل الصباغة ، كان نقول « ان القطن صبوغ اما الحرير الاصطناعى فلا »
- الصبوغية تدل على التفاوت فى قابلية الصباغة، كان نقول « ان صبوغية القطن اكبر من صبوغية الكتان» •

وهكذا عدا الاوزان الاخرى المعروفة التى لم نذكرها والتى يعطى كل وزن منها معنى مختصرا وواضحا ولا سيما ان عينا معنى الوزن بدقة •

يكاد يخيل الى ان العرب قد بلغوا فى حقبة من الحقب السحيقة فى التاريخ مرحلة من النضج والحضارة الرفيعة ، ما زالت مجهولة لدينا ، امكنهم خلالها ان يتواضعوا على ضبط اصول لغتهم بهذه الاوزان الشاملة والمعبرة عن نواح حضارية مختلفة واحاسيس مرهفة ، وان يفرضوها على انفسهم ، فاقتبستها منهم الاجيال اللاحقة ناضجة • ولعل الشذوذ الذي يبدو فى الاصول الاولى هو من فعل الزمن فى فترات التخلف والتشتت • والا فهل يكون من قبيل المصادفة المحضة ان تجيء جميع الافعال التى على وزن فعل يفعل لازمة وان ما يبنى للمجهول يكون على وزن واحد هو فعل يفعل ؟ وان نجد مجموعة الاوزان الاخرى يدل كل واحد منها على وظيفة خاصة مما يسهل الكثير على المتكلم والسامع ويجعل اللغة العربية خاضعة لسنن واضحة ؟

لعل هذا ما دفع ارنست رينان ان يقول « من اغرب المدهشات ان تنبت تلك اللغة القوية وتبلغ درجة الكمال وسط الصحاري عند امة من الرحل ، تلك اللغة التى فاقت اخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها • ولم يعرف لها فى كل اطوار حياتها طفولة ولا شيخوخة ، ولا نكاد نعلم من شأنها الا فتوحاتها وانتصاراتها التى لا تباري ، ولا نعرف شبيها لهذه اللغة التى ظهرت للباحثين كاملة من غير تدرج ، وبقيت حافظة لكيانها من كل شائبة » •

واننا نرى فى عصرنا الحاضر ، عصر العلم والتنسيق ، محاولة على غرار ما توصل اليه العرب فى عصرهم الغابر ، هى ابتكار لغة مستنبطة من اللاتينية وفروعها لتكون لغة العالم ، واعنى بها لغة الاسبرنتو — Esperanto وتتألف هذه اللغة من مصادر تضاف اليها زيادات فى اولها وآخرها لتعبر كل زائدة عن الوظيفة المطلوبة من الكلمة ، وان تكون القواعد شاملة ، كما اريد من اوزان اللغة العربية ، بصورة تسمح باتقان اللغة الجديدة فى وقت قصير جدا • ولكن لم يكتب لهذه اللغة الانتشار لمزاحمة اللغات الاخرى لها • الا انه مهما كان مصير هذه اللغة الجديدة فان ما يعنينا من امرها هو ان نشير الى ما كان يتحلى به الانسان العربى الاول من منطق سليم وصفاء فى الذهن يجاري بهما ما يتمتع به انسان القرن العشرين من عقل علمى منهجى • فهل نستهين بهذا التراث ؟

5 — المصطلحات العربية الحديثة :

ان كثيرا من المصطلحات العلمية وجدت المعنى

المطابق لها تماما ، سواء للفظ قديم وضع للغرض نفسه او لقريب منه ، وهناك كلمات اخرى ترجمت ترجمة حرفية ، واخرى صيغت ، واخرى عربت .

وقد كانت بعض الكلمات الموضوعة موفقة وبعضها الاخرى تنقصه الدقة بحسب قواعد اللغة وقد اوردت فيما تقدم من بحثي نموذجات منها ، ولا ضرورة للزيادة .

وسبب عدم الدقة على الغالب ضعف المترجمين احيانا ، او نزوات آخرين .

فالذي ترجم كلمة Adsorption مثلا بكلمة ((ادمصاص)) يعطي مثالا لمثل هذه النزوات (فكلمة Adsorption هي كلمة علمية مستحدثة في اللغة الفرنسية ، وضعت للتعبير عن حادثة فيزيائية هي دخول غاز او سائل دخولا سطحيا في جسم صلب، كانما امتص الجسم الصلب الغاز او السائل الى عمق محدود . فهي ليست امتصاصا Absorption يدخل فيه الغاز او السائل الى الاعماق بل هي امتصاص سطحي كما قلت .

فقد تكون كلمة Adsorption الفرنسية نحتا من كلمتين هما Adhérer و Absorber وهي قاعدة جارية في اللغات الاجنبية . فهل نحت واضع كلمة ((ادمصاص)) هذه الصيغة من كلمتي ادخل ومص ؟ ما اظن ذلك .

اغلب الظن انواضعها اخذ الجزء الاول من الكلمة الفرنسية ad واخذ الباقي من الكلمة العربية ((امتصاص)) فكون كلمة هجينة لها الجرس العربي لتتماشى الكلمتان ادمصاص معا ، على نحو ما ورد مثيله على لسان العرب في الحمل على اللفظ والمعنى للمجاورة فقالوا : ((الغدايا والعشايا)) ولم يقولوا (الغدايا) اذا افردوها عن (العشايا) لانها (الغدوات). وكما ورد على لسان النبي صلى الله عليه وسلم ((ارجعن مازورات غيرماجورات)) واصلها))موزورات)) فاجراها مجرى الماجورات للمجاورة بينهما .

او لعل واضع الصيغة جرى مجرى الزيادة ، فمن سنن العرب ادخال بعض الحروف على الاسم اما للمبالغة واما للتشويه والتقبيح . فيقولون مثلا للكثيرة التسمع والنظر ((سمعنة نظرنه)) . كمايقولون ((رعشن)) للذي يرتعش لادنى سبب ، و ((صلدم)) للصلد الشديد وكذا .

ولكننا نرى في ادمصاص تبديلا وتغييرا لا زيادة على كلمة ما .. على ان مجال الزيادات ضيق ، على العموم ، في اللغة العربية . الا انه في اللغات الاجنبية كثير ، وتخدم هذه الزيادات لاغراض مختلفة فمنها ما يضاف الى اول الكلمة . ومنها ما يضاف الى آخرها : ونشعر ، في كثير من الاحيان ، ونحن نترجم بعض المصطلحات ، التي لا يستوعبها وزن من اوزان اللغة العربية ، بحاجة لغتنا الى مثل هذه الزيادات ، ويا حبذا لو يتفق على ما يلزم منها ، لتصبح هذه الزيادات قياسية غير محصورة في الفاظ محدودة مثل رعشن وصلدم واضرابهما .

على كل حال ، مهما كانت الحجج والاسباب التي تذرع بها واضع كلمة ادمصاص فاني ارى في هذه الصيغة ضعفا للاسباب التالية :

ا) اذا قبلنا الكلمة واردنا الرجوع الى اصل الفعل نجده فعل ((دمص)) ومنه ((ادمص ـ ادمصاصا)) على وزن ((افعل ـ افعـلالا)) مثل ((اخضر ـ اخضرارا ـ وازور ـ ازورارا)) . لكن وزن ((افعل)) هو وزن لازم ونحن نريد من ((ادمص)) ان تكون متعدية ليستقيم المعنى . فان قلنا ((ادمص الحديد الازوت)) نريد منها ان الحديد قد ابتلع الازوت . وهو ما لا يصح مع هذا الوزن كما يصح في امتص الذي هو من وزن ((افتعل)) المتعدي احيانا (واللازم احيانا) وليس افعل اللازم دوما .

ب) لفعل ((دمص)) في اللغة معنى . فدمص الشيء ـ اسرع ـ ودمصت الكلبة بجروها : القته لغير تمام .

وفعل ((دمص ـ دمصا)) الرجل معناه قل شعر راسه .

فالصيغتان تدلان على نبذ الشيء ، والحادثة الفيزيائية عكس ذلك .

ج) لو لم يراع المترجم المجاورة وصاغ الكلمة من فعل ((دمق)) لكان اقرب للمعنى . فدمق ودمق وادمق الشيء في الشيء ادخله ، والدميق المدخل في غيره ، كان نقول ((ان الدميق المستعمل هو الازوت)). وعليه تكون ترجمة adsorption هي كلمة ((اندماق)) المشتقة من ((اندمق)) والتي تعني ايضا الدخول بغير اذن ، وهو معنى قريب من المطلوب .

د) ان فعل دمق فعل مهجور ، لكن صيغته

مستساغة • فان احييناه لهذه الحادثة فلا تشريب علينا ، لان كثيرا من الكلمات قد تغيرت معانيها في عصور مختلفة •

فالمؤمن والمسلم والكافر والفاسق والصوم والصلاة والزكاة والركوع السجود وكثير غيرها لم تكن لها المعاني نفسها في الجاهلية كما نعرفها في صدر الاسلام بعد ان شرعت شرائع وشرطت شرائط • ومثل هذا جرى في العصور الاسلامية التالية سواء في الفقه او الشعر او النحو او العروض او العلوم الاخرى مما جعل الكثير من الصيغ مدلولا لغويا ومدلولا صناعيا • وهكذا فاننا نحن نطبق هذا في وقتنا الحاضر لاستنباط كلمات من بطون المعجمات نعطيها لمصطلحات جديدة وقد كان لها فيما مضى معان اخرى وهي اكثر من ان تحصى ، ففي المصطلحات المعروضة على مؤتمركم هذا الكثير منها ، وواجبنا ان نمحصها ونتفق على توحيدها دون ان نخرج على قواعد اللغة ، وهو الشيء الاساسي الذي نتمناه •

6 — الخلاصة :

ما قصدت التزمت في قولي « عدم الخروج على قواعد اللغة» وانما قصدت السير على سنن اللغة في الشمول والتعميم مع توسيع آفاق الاشتقاق لتضم اطراف الحضارة الآخذة بالتوسع اخذا مذهلا •

ولعل ادخال بعض الزيادات ينفع ايضا ليغطي مجالات واسعة مما نفتقر اليه •

واغلب ظني ان تقدم الحضارة وتوسع البحوث والتجريبات والكشوف ستطرح على اللغة العربية في يوم قريب مسالة التحري عن مصادر عربية او غير عربية تشتق منها المعاني التي عليها ان تلبي حاجة العصر • فهنالك تراكيب كثيرة ثلاثية لم تستعمل بعد على الرغم من خفتها وعدم تنافر حروفها •

فمن حروف كلمة ثلاثية مثل « كتب» يمكن تركيب ست كلمات هي :

— كتب من الكتابة
— كبت صرع وانل
— بتك قطع
— بكت ضرب بالسيف او العصا ، او غلب بالحجة
— تبك ليس لها معنى
— تكب ليس لها معنى

فلماذا لا تكون الصيغتان الاخيرتان مستعملتين؟

اننا نرحب بكلمات اعجمية مثل « تلفن» لترجمة كلمة Téléphone و « تلفز » لترجمة كلمة Télévision واضرابهما لانها تجري بسهولة على قواعد لغتنا في التصريف والاشتقاق ، فلماذا نقصي تراكيب تمد بالالاف وقد يمكن ان تؤدي خدمات كثيرة ؟ لعل حفداءنا او اولادنا ، او لعلنا نحن سنلجأ الى استخدام التراكيب غير المستعملة ، ففي ذلك مضاعفة لمفردات اللغة ، على ان نبتعد عن الكلمات العقيمة التي لا تتوالد بحسب السنن التي وضعها اسلافنا وان نلتزم قواعد عامة وشاملة متجنبين الشذوذ ما امكن ، ففي لغتنا منها ما يكفي على الرغم من منطق لغتنا الاصيل •